مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 16 العدد: 01 السنة 2024 ص 843 - 855

تاريخ الإرسال: 2024/02/07 تاريخ القبول: 2024/05/01
تاريخ النشر: 2024/05/16

التطوّر الدلاليّ في اللّغةِ العربيّةِ

Semantic development in the Arabic language

د. عبد الوهاب حجازي[1]

[1] a.hadjazi@cuniv-naama.dz،المركز الجامعي النعامة (الجزائر)

الملخص:

التطوّر الدلاليّ مصطلح من المصطلحات الثابتة التي يرتكز عليها علم الدلالة الحديث، وليس غريبا هذا المصطلح عند اللغويين القدامى إذْ ترى حضوره في آثار المتقدمين من الرعيلِ الأوّل، ومن حيث المضمون لم يكن التطوّر الدلاليّ حكرا على لغةٍ من اللّغاتِ؛ وذلك لأنّه ظاهرة اجتماعية يسري عليها ما يسري على الظواهر الاجتماعية جميعِها وحين ذاك تكون أسباب التطور والمظاهر متشابهة بين اللّغات، إذ أنّ اللغة كائن حيّ يتطور وينمو ولا خلافَ بين لغةٍ وأخرى في هذا البابِ، واللغةُ العربيّةُ امتازت بهذا التنوّع والتغيّر والتطوّر لمعاني الألفاظِ بتعاقب الأزمنةِ ولذلك أسباب أدَّتْ لهذا التغيّر الذي أصبح جليًّا وظاهرًا في كثيرٍ من كلامِ العربيّةِ.

الكلمات المفتاحية: التطوّر، الدلالة، اللغة، المعاني، التغيّر، المصطلح.

Abstract:

Semantic evolution is one of the consistent terms underlying modern semantics, and it is not unusual for ancient linguists to see its presence in the effects of First Parish applicants, and in terms of content the semantic evolution was not the preserve of

a language; This is because it is a social phenomenon to which what applies to all social phenomena and then the causes of development and manifestations are similar in languages. Language is a living being that evolves and grows, and there is no difference between language and language in this door. The Arabic language is characterized by this diversity, change and evolution of the meanings of the future and therefore reasons for this change, which has become evident and manifest in many Arabic words.

Keywords: Evolution, connotation, language, language, change, term.

المؤلف المرسل: د. عبد الوهاب حجازي: A.HADJAZI@CUNIV-NAAMA.DZ

1.مقدمة:

اهتمّ علماء العربيّة اهتمامًا بالغًا بالألفاظ ومعانيها المتجدّدةِ والمتغيّرةِ بحسبِ التعاقب الزمنيّ الذي يؤثّر في أيّ لغة كانت، وهذا التأثير نحصرهُ في اللغة العربيّة وما يصاحبها من معاني متجددة للألفاظ، ومن هنا نجد أنّ علم الدلالة الحديث قد توجّهَ لدراسةِ هذه المعاني و أسبابها وأهمّ مظاهرها، فتعددت بذلك معاني اللفظ الواحد وربما قد تأتي على المعنى الأوّل فتُزيحهُ وتحافظ على المعنى المتأخّر فقط.

إشكالية الدراسة:

تختلف المعاني بحسب البيئة وتبعها من الأزمان، فما هي العوامل والأسباب لداعية لتطوّر معاني الألفاظ؟ وما هي مظاهر هذا التطوّر؟

فرضيات الدراسة:

تهدفُ الدراسة إلى بحثِ جوانب ومظاهر التطوّر الدلالي، وبحثِ الأسباب التي تجعل دلالات الألفاظِ تتغيّر من بيئة لأخرى ومن زمنٍ لآخر.

أهمية الدراسة:

تتناول هذه الدراسة موضوع التطوّر الدلالي الذي يعدّ محورًا رئيسًا في علم الدلالة (علم المعنى)، وذلك للأهمية التي تكتسيها معاني الألفاظ التي بدونها تنعدم سبل التواصل في البيئة الواحدةِ ومن عصر لآخر.

منهج الدراسة:

اعتمدنا في هذه الورقية البحثية على المنهج الوصفي وذلك لأننا بصدد وصف هذه الظاهرة اللغويةِ ويتخللها التحليلُ الذي هو أحد المرتكزات التي يأتي عليها البحث.

2. التطوّر الدلالي في ميزان التراث:

لعلّ الاهتمام الذي أولاه علماء العربية للتطوّر والتغيّر الدلاليّ لم يكن في معرضِ الذكرِ فقط بل كان دراسة واقعية ثابتة انطلقت من فكرٍ وبديهةٍ وإنْ لم يُذكر اسم التطوّر، فنجد ابن فارس قد أشار لهذا حين قال نقلا عن الأصمعي في باب القول فِي أصول أسماء قِيسَ عَلَيْهَا وأُلحِقَ بِهَا غيرُها:" إنّ الأصمعي يقول :أصل" الورِد "إتيان الماء، ثُمَّ صار إتيانُ كلِّ شيء ورْداً. و"القرَبَ "طلبُ الماء"[1] ، ويتضح مما ذُكر أن التطور الدلالي قد لفت انتباه أهل اللغة مثل الأصمعي ولكن لا نكاد نجد من أفرد لهذا الموضوع بحثا مستقلا بذاتهِ، وقد استطاع السيوطي أن يجمع في رسالته عددا كبيرا من الكلمات وأن يحدد دلالاتها الأولى، هذا

وقد ذكر غيرهُ هذا الباب نظرا للأهمية التي كان يكتسيها وتبيّن من ذلك أنّ الاستعمال والحاجة كانت سببا رئيسًا لا خلاف فيه بينهم، وصاحب ذلك مجموعة من المظاهر التي ترسمت من تطور الدلالة بالتعميم والتخصيص والانحطاط والرقيّ وغيرها من المظاهر.

يقول علي عبد الواحد وافي:" كأن يخصص معناها العام فلا تطلق إلا على بعض ما كانت تطلق عليه من قبل، أو يعمم مدلولها الخاص فتطلق على معنى يشمل معناها الأصلي، ومعاني أخرى تشترك معه في بعض الصفات، أو تخرج عن معناها القديم فتطلق على معنى آخر تربطه علاقة ما، وتصبح حقيقة في هذا المعنى الجديد بعد أن كانت مجازا فيه أو تستعمل في معنى غريب كل الغرابة عن معناها الأول"[2].

وقد بيّن أهل اللغة أن التغيّر والتطوّر الدلالي له خصائص معينة يسير وفقها نذكرها كالآتي:

1. التلقائية وعدم تدخل الإرادة الإنسانية.

2. الارتباط الوثيق بين الدلالتين[القديمة والجديدة].

3. عدم وجود قوانين ثابتة وقواعد مُلزمة.

4. أن تسير العملية بتثاقل شديد؛ لأنّ تغيّر الكلمة يستغرق وقتا.

5. التقيّد بزمان ومكان.

1.2 أسباب التطوّر الدلالي:

لا يختلف اثنان أنّ اللغةَ ليست ثابتة ولا ساكنة فهي متغيرة متطورة كما ذكرنا وهو دليل حي على حيوية اللغة، وقد يكون هذا التطوّر والتغيّر بطيئا في كثير من الأحيانِ من حيث الأصواتُ والتراكيبُ ومعاني الكلمات وصيغها، وهنا يقول أولمان:" وهذه الحقيقة ذاتها تؤدي إلى المرونةِ في الاستعمال اللغوي وإلى عدم ثباتِ الظواهر اللغويةِ أكثر من أي عامل آخر"[3]

يقول إبراهيم أنيس:" ينحرف الناس عادة باللفظ من مجاله المألوف إلى آخر غير مألوف حين تعوزهم الحاجة في التعبير، وتتزاحم المعاني في أذهانهم أو التجارب في حياتهم، ثم لا يسعفهم ما ادخروه من ألفاظ، وما تعلموه من كلمات، فهنا قد يلجئون إلى تلك الذخيرة اللفظية المألوفة، مستعينين بها على التعبير عن تجاربهم الجديدة لأدنى ملابسة أو مشابهة أو علاقة بين القديم والجديد".[4]

وقد بيّن نواري سعودي أبو زيد ذلك فقال:" وتظهر الحاجة حينما يملك المجتمع اللّغوي فكرة أو شيئا يريد التّكلم عنه مما يقتضي تمثيله بمفردات تتضمن مجموعة من الأصوات، وقد يكون هذا التّمثيل عن طريق الاقتراض من لغة إلى لغة أخرى، فحين يحدث ذلك فإنّ المعنى غالبا ما يتغير بوجه من الوجوه، إما بتوسيعه أو تضييقه أو نقله كليا لغير ما وضع له اللّفظ في اللّغة المقترض منها".[5]

وقد تمّ الحديث عن التغير الذي يصيب دلالات بعض الألفاظ في لغة ما عبر الأزمنة المختلفة، متى توافرت الدواعي أو الأسباب التي تؤدى إلى ذلك إذْ التغيّر لا يكون مفاجئا بل هو تدريجيّ[6]، وهي على النحو الآتي:

2.2 الاستعمال:

إنّ الحديث عن الألفاظ لا يمكن أن ينعزل عن المعاني نظرا للرابطة التي تُلزم كل أحدٍ بالآخر، والألفاظ وُجدت للتداول والاستعمال لا للمجرد الحضور وتكديسها في كتب ومؤلفات للتباهي بها، ولعلّ ذلك الاستعمال يفرض تجدد وتطور المعاني للفظ الواحد عبر الزمن وهذا ليس بمعزل عن تباين الألفاظ ومعانيها بين أفراد الجيل الواحد والبيئة الواحدة، وهنا يمكننا الحديث عن مجموعة من العوامل التي أسهمت بطريقة واضحة في هذا التطور ومن أبرزها:

1.2.2 سوء الفهم:

الألفاظ وُجدت كما ذكرنا للاستعمال عبر الأجيال ويمكن لهذا الاستخدام أنْ يُنتج لنا مجموعة من الألفاظ الهامشية التي يلجأ إليها بعض النّاس مع وجود المعاني الأساسية والمركزية لتلك الألفاظ، وبمرور الزمن تظهر تلك المعاني والدلالات الهامشية ويستمرّ الأمر على حالهِ إلى أنْ تُصبح المعاني الهامشية هي السائدة، والمعاني والدلالات المركزية تفقد شيوعها ويقلّ استعمالها وتُهمل، ويمكننا الاستدلال بقول الشاعر[7]:

يا وَيحَ قَلبي مِن دَواعي الهَوى *** إِذ رَحَلَ الجيرانُ عِندَ الغُروب

أَتبَعتُهُم طَرفي وَقَد أَمعَنوا *** وَدَمعُ عَينَيَّ كَفَيضِ الغُروب

بانوا وَفيهم طَفلَةٌ حَرَّةٌ *** تَفتَرُّ عَن مِثلِ أَقاحي الغُروب

فالغروب في البيت الأوّل لوقت الغروب، وفي الثاني للدلاء، جمع دلو، وفي الثالث للوهاد المختلفة.[8]

ويمكن أنْ يسمع الإنسان ألفاظا على غير ما هي عليه في الأصل، فتتولد في ذهنه دلالات غريبة لا صلة لها بالذي في ذهن المتكلم، وتبقى تلك الدلالة الغريبة الجديدة في ذهنه، ويمكن أن ينتج هذا النوع عند مجموعة من الناس غير أنها ليست بتلك الكثرة والشيوع، فيمكن لحركة اليد أو غمزة العين أن تغيّر المعنى وفي دلالة اللفظ دون أي قصد أو شعور، وهذا يؤدي لظهور دلالة جديدة نتجت عن سوءِ فهمٍ وتجدر الإشارة هنا أنّه ليس بالضرورة أن تندثر الدلالة الأصلية بل تبقى إلى جانب الدلالة الجديدة فتصبحَ ضرّة لها فينتج ما يسمى بالمشترك اللفظي للفظة واحدة تعددت دلالتها لدلالتين أو أكثر دون ارتباط بينهما ولا وجه شبه يقارب بينهما.

2.2.2 بلى الألفاظ :

هذا العنصر الثاني للاستعمال نجدهُ حين يصيب اللفظ بعض التغير والتبدّل في صورة اللفظ ويصادف ذلك أن يتشابه بلفظٍ آخر في صورته هذه، فينتج اختلاط الدلالتين، يكون اللفظ وفق ما يسمى بالمشترك اللفظي، فتطور (السين) في كلمة مثل (السغب) إلى حرف مناظر لها في المخرج والهمس كـ (التاء) ينتج لنا صورة جديدة للكلمة تماثل تمام المماثلة كلمة أخرى موجودة فعلا وتعنى (الدرن والوسخ) وهي كلمة "التغب"، ويترتب على هذا التطور الصوتي تطور دلالي هو أن يصبح للفظ الواحد أكثر من دلالة واحدة.[9]

3.2.2 الابتذال والانحطاط:

هو العنصر الثالث في الاستعمال الذي قد يصيب بعض الألفاظ في اللغة العربية، وذلك لأسباب مختلفة قد تكون سياسية أو نفسية أو عاطفية.

1.3.2.2 السبب السياسي:

يمكن للظروف الساسية أن تؤثّر في معاني بعض الألفاظ، فنجد بعض الكلمات الراقية في زمن مضى (القرن التاسع عشر) مثل "أفندي، باشا" فكانت دلالتها راقية مرموقة وصارت في هذا الزمن للتقليل من قدر أصحابها وفيها من التتفيه ما فيها.

2.3.2.2 السبب النفسي والعاطفي:

تتغيّر وتتطور بعض الألفاظ نتيجة لوقعها على الجانب النفسي، فتكون بعض الألفاظ تحوي شيئًا من القوة أو القذارة أو الدنس وغيرها فيتجهُ بها نحو التلطيف مثل القول في [التبول والتبرز] بيت الراحة، وبيت الأدب ونجد هذا حتى في العامية في قولهم [نستبرى] عوض القول أتبول، والأمر نفسه ينطبق على كثير من الأمراض والأشباح والموت وغيرها كقولهم في مرض السرطان [المرض الخبيث أو ذلك المرض] وللميت نقول: المرحوم والفقيد والراحل، وهذا يندرج تحت مسمى التفاؤل وترك التشاؤم والابتعاد عن قبح دلالة الألفاظ، هنا يقول مازن مبارك:" إن الآداب الاجتماعية، والحياء،والاشمئزاز، والتفاؤل، كلها أسباب نفسية تدعو إلى تجنب كثير من الألفاظ، والعدول عنها إلى غيرها من الألفاظ التي يُكْنىَ بها عن الأشياء التي يُسْتَحَى من ذكرها، أو يُخَاف، أو يُتَشَائم من التلفظ بأسمائها".[10]

4.2.2 الحاجة لألفاظ جديدة:

كثيرا ما يلجأ الناس في المجتمع إلى استحداث وابتداع معان تناسب التطورات الحاصلة التي طرأت بسبب الاختراعات العلمية، أو ظهور تخصصات علمية جديدة تحتاج إلى مصطلحات خاصة وغير ذلك من العوامل المتعلقة بما يحتاج الناس إلى تسمية من الأشياء التي لم يضع لها القدماء ألفاظا لأنها لم تكن موجودة عندهم، وهنا يقول إبراهيم أنيس:" وهكذا وجدنا أنفسنا أمام ذلك الموج الزَّاخر من الألفاظ

القديمة الصورة الجديدة الدلالة، يمثل لذلك بكمات مثل: المدفع والدبّابة والسيارة والقاطرة والثلاجة والسخان والمذياع والذبذبات والتسجيل والجرائد والصحف والمجلات، والمحافظة والأقسام والمرور؛ وغير ذلك من آلاف الألفاظ التي أحياها الناس واشتقّوها وخلعوا عليها دلالات جديدة تطلّبتها حياتهم الجديدة، وتتم هذه العملية عادة عن طريق الهيئات والمجامع اللغوية، أو قد يقوم بها بعض الأفراد من الموهوبين في صناعة الكلام كالأدباء والكتاب والشعراء، ثم تفرض تلك الألفاظ في وضعها الجديد على أفراد المجتمع للتّداول والتّعامل بها"[11]

5.2.2 شناعة الألفاظ وقبحها: يلجأ النّاس أحيانا لوجود بعض القبح في الألفاظِ رغم فصاحتها إلى تغييرها؛ لأنّها ألفاظ مُستقبحةٌ لا يُمكن بأيّ حالٍ أن يتداولها الناس فيما بينهم ,احيانا تكون الحاجة مُلحّة إلى تمثيلها أو نقل اللفظ أو تغيير حركةٍ من الحركات أو حذفِ حرفٍ من الحروف أو تبديلهِ حتى يكون ذاك اللفظ ثابت المعنى وإنْ كان جديدا، وهذا التمثيل يختلف باختلاف البيئة وباختلاف الزمان أيضا، وهنا قال فريد حيدر:" وتأباه الآداب العامة، فيستعاض عنه بآخر من نفس اللغة أومن لغة أجنبية".[12]

3. مظاهر التطوّر الدلالي:

للتطوّر الدلاليّ مظاهر عديدة نصّ عليها أهل العلمِ في آثارهم، وبعيد عن تباين الآراء فيها فقد اتفقوا على بعضها في صورة: تخصيص الدلالة، وتعميم الدلالة، وانتقال مجال الدلالة.

1.3 تخصيص الدلالة أو تضييقها:

هو أن يضيق معنى الكلمة ويُصبح خاصا، بعد أن كان في مرحلة زمنية سابقةٍ عامًّا فبعض الألفاظ تدل على العموم وتخصص دلالتها باختصارها على نوع معين أو على فرد معين، حتى تصبح دليلا عليه وإليه، ولعلّ كلمة **[الحج]** كانت تعني في الزمن الأوّل القصد إلى أي مكان دون تعيينه فخُصصت في زمن مضى بمعنى الحج إلى بيت الله الحرام بمكة وهذا المعنى سائد إلى يوم النّاس هذا وكلمة **[مأتم]** أصلها الاجتماع في جميع أحواله وبعد ذلك خُصّصت بالاجتماع للحزن وحده، ومن ذلك أيضا ما ذكرهُ عبد الكريم حسن جبل في كتابه علم الدلالة دراسة تطبيقية: لفظ السبت يطلق في اللغة على الدهر ثم خص في الاستعمال لغة بأحد أيام الأسبوع، وهو فرد من الأفراد. أي لفظ السبت كان يدل على الدهر مطلقا ثم خصص الاستعمال اللغوي للدلالة على يوم من أيام الأسبوع.[13]

2.3 توسيع الدلالة وتعميم الخاصّ:

وهو أن يتسع معنى الكلمة بعد أنْ كان خاصًّا وضيّقا ليصبح عامًّا متسعًا، وهو عكس التخصيص والتضييق ومن أمثلة ذلك لفظ: **[البأس]** فأصلها الحرب والشدة فيها وبعد ذلك أُطلقت على كلّ شدة والأمثلة في هذا الباب كثيرة منها قولنا حاتم على كلّ كريم جواد تمثيلا بكرم حاتم الطائي وأيضا قولنا فرعون علا كلّ من طغى وتجبّر تمثيلا بتجبّر فرعون على قومه.

3.3 انتقال الدلالة:

يقصد بهذا الانتقال أنّ اللفظ ينتقل عن الدلالة المألوفة في الواقع إلى أخرى مجازية، فيكون الانتقال من المجرد إلى المحسوس، والأصل أنّ الإنسان يبدأ طفولته بالمحسوسات ثم تستقرّ في ذهنه وتتشكل لها ألفاظا يتم تداولها في بيئته، فمثلا كلمة [الغيث] في أصلها تدلّ على المطر غير أنّها استعملت للنبات الذي ينشأ عن المطر مجازاً فيقال: رعينا الغيث، والعلاقة سببية.[14]

4.3 رقيّ الدلالة:

هو ما يصيب الدلالة من رقي وصعود في المعنى، وهو الأقلّ شيوعا ويسمّى أيضا بسمو الدلالة لأنّ السمو هو العلو والارتفاع في اللغة، قال الزبيدي:" سما به أعلاهُ كأسماهُ، وسما لي الشيءُ: رُفِع من بُعدٍ فاستبنتُهُ"[15]، ونمثل لذلك بكلمة [رسول] فكانت تدلّ على كلّ من يُرسل في أي حاجة كانت عظيمة أو منحطّةٍ، غير أنّ دلالة اللفظ تطورت فصارت لفظة سامية راقية تدلّ على الذي يُوحى إليهِ برسالةٍ وأُمِرَ بتبليغها، ومثل ذلك كلمة القماش فكانت تدلّ على الأشياء من فتات الأرض وسمت هذه الدلالة فصارت تدلّ على النسيج المتقن الصنعة.

5.3 انحطاط الدلالة:

هو ما يصيب الدلالة من ضعف وانهيار، فبعد أن كانت دلالتها راقية مرموقة ضعفت وانهارت ومن أمثلة ذلك: [الاحتيال] فأصلها للحذاقة وجودة النظر وبداهة التصرف إلى أن تحوّل إلى معاني منحطّة في زمننا هذا كالغش والخداع والاستغلال، ومن أمثلة ذلك أيضا:[البهلول] كانت تعني السيد إلى أن تحولت وانهارت دلالتها فصارت منحطة فجُعل البهلول مثل البهلوان والذي يُكثر من الضحك في أمور الجد وغير ذلك، وأيضا كلمة [الحاجب] بعد أن كانت تطلق على رئيس الوزراء صارت تُطلق على الخادم والحارس.

4.خاتمة:

إنّ تغيّر وتطوّره المعنى هو هو تغيّر تدريجيّ يطرأ على دلالات الألفاظ مع تعاقب الأزمانِ، فترى أنّ معنى اللفظَ يتغيّر ويتطوّر في كلّ مرّة حسب الزمان والمكان وهو دليل على حيوية اللغة على اختلافها، والأسباب الداعيّة إلى هذا التغيّر والتطوّر كثيرة كما ذكرنا في ورقتنا هذهِ، ولعلّ اختلاف هذه الأسباب واختلاف البيئة التي تنتج فيها هو ما يجعلُ المعاني تتطوّر تتجدد وأخرى تندثر وتتبدد، فتلاحظ أنّ بعض المعاني في رقيّ وأخرى في انحطاط وبعضها يُعمّم وآخر يُخصّص وبين هذا وذاك

تنتقل الدلالة فيتولّد لنا مجموعة من المعاني الجديدة التي لم تكن سائدة في زمن من الأزمان وإنّما دعته إليهِ الحاجة المُلحّةُ في تلك البيئةِ دون غيرها وفي ذلك العصر دون سابقهِ.

5.المراجع

[1] الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ابن فارس تح: مصطفى الشويمي مؤسسة – بدران للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1964م –1383ه، ص95.

[2] علي عبد الواحد وافي: علم اللغة، مطبعة نهضة مصر، ص 287.

[3]– ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، تر: محمد كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ط03، 1977م، ص 156.

[4]– إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط04، 1980م، ص 130.

[5]– نواري سعودي أبو زيد، محاضرات في علم الدلالة، عالم الكتب الحديث، 2011، الأردن.

[6]– فريد عوض حيدر: فصول في علم الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط03، 2011م، ص199.

[7]– صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م، ج174/19.

[8]– إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ص134.

[9]– نفسه: ص137.

[10]– مازن مبارك: فقه اللغة خصائص العربية، دار الفكر، دمشق، ط02، ص215.

[11]– نفسه: ص 147.

[12]– فريد عوض حيدر: فصول في علم الدلالة، ص 93.

[13]– ينظر :عبد الكريم محمد جبل، في عالم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، كلية الآداب، جامعة طانطا، دار المعرفة الجامعية، 1990، ص239.

[14]– ابن دريد: جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط01، 1987م، ج432/03.

[15]– محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق جماعة من المختصين، وزارة الإنباء والإرشاد، الكويت، 2001م، ج301/38.